الحديث الحادى عشر

قال رسول الله ﷺ :

« أفضلُ دينار ينفقه الرجل : دينارٌ يُنفقُهُ على عيَاله ، ودينارٌ ينفِقهُ على دَابَّتِه فى سبيل الله ، ودينارٌ ينفِقُهُ على أصحابِه فى سبيل الله » .

تخريجه :

الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الزكاة : باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم ٢ / ٦٩١ ، ٦٩٢ رقم (٩٩٤) من حديث ثوبان رضي الله عنه .

وأورده الإمام النووى فى : رياض الصالحين : باب النفقة على العيال ص ١٤٧ ، وعقب عليه بقوله : « رواه مسلم » .

معناه :

ينظر الإسلام إلى المال على أنه عصب الحياة وبه قوامها ، وتبعا لذلك فقد حدد أوجهًا لصرفه وإنفاقه ؛ كيلا يذهب هباءً أو سدى ، بل لقد فضل بعض هذه الأوجه على بعض عند الضيق ، وعدم الكفاية لسدها جميعا .

والحديث الذى معنا الآن يتضمن ثلاثة أوجه، تعدُّ أفضل أوجه الإنفاق والصرف:

الوجه الأول : نفقة الرجل على من يعولهم من : الأهل ، والولد ، والوالد ، والخادم ونحو ذلك ؛ لما يترتب على هذه النفقة من كفايتهم وصيانتهم من الضياع ، وبالتالى انصرافهم لتحقيق معنى العبودية لله ـ عز وجل ـ فى الأرض .

الوجه الثانى : نفقة الرجل على دابته لتحمله أو لتحمل غيره فى سبيل الله ـ عز وجل ـ لما يترتب على هذه النفقة من قدرتها وقوتها على مواصلة العمل ، وبالتالى بقاء راية الإسلام خفاقة فى العالمين .

الوجه الثالث : نفقة الرجل على أصحابه الذين يجتمعون على الطاعة من بناء النفس والدعوة والجهاد وغير ذلك ؛ لما يترتب على هذه النفقة من إعانتهم على قضاء حوائجهم ، وبالتالى استمرارهم فى تقوية الصف المسلم ، وعدم التخلى عنه .

هذا وقد وردت نصوص حديثيَّة أخرى سوى هذا الحديث فى فضل الإنفاق فى كل وجه من الأوجه الثلاثة المذكورة ، ودونك هذه النصوص :

أولا : بعض النصوص الحديثية فى فضل الإنفاق على العيال :

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرًا الذى أنفقته على أهلك »[١] .

وعن سعد بن أبى وقَّاص رضي الله عنه فى حديث طويل ؛ أن رسول الله ﷺ قال له : « وإنك لن تنفق نفقةً تبتغى بها وجه الله إلا أُجرت بها ، حتى ما تجعل فى فىّ امرأتك »[٢] .

وعن أبى مسعود البدرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها ، فهى له صدقة »[٣] .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الزكاة : باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم ٢ / ٦٩٢ رقم (٩٩٥) ، ورواه الإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٤٧٣ ، ٤٧٦ بلفظ متقارب ، وورد فى : الفتح الكبير ٢ / ١١٣ .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الإيمان: باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة ... إلخ ١ / ٢٢ ، وكتاب الجنائز : باب رثاء النبى ﷺ سعد بن خولة ٢ / ١٠٣ ، وكتاب المرضى : باب قول المريض : إنى وجع ٧ / ١٥٥ ، وكتاب الدعوات : باب التعوذ من أرذل العمر ٨ / ٩٩ ، وكتاب الفرائض : باب ميراث البنات ٨ / ١٨٧ .

وأخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الوصية : باب الوصية بالثلث ٣ / ١٢٥١ رقم (١٦٢٨) باختلاف يسير ، ومالك فى : الموطأ ص ٤٧٦ رقم (٤) .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الإيمان: باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة ... إلخ ١ / ٢١ ، ٢٢ ، وكتاب النفقات : باب فضل النفقة على الأهل ٧ / ٨٠ ، وأخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الزكاة : باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج ... إلخ ٢ / ٦٩٥ رقم (١٠٠٢) .

والنسائى فى : السنن : كتاب الزكاة : باب أى الصدقة أفضل ؟ ٥ / ٦٩، والدارمى فى : السنن: كتاب الاستئذان : باب فى النفقة على العيال ٢ / ٢٨٥ ، والإمام أحمد فى : المسند ٤ / ١٢٠ .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « كفى بالمرء إثما أن يُضيِّع مَنْ يقوت » (١) . إلى غير ذلك من النصوص .

ثانيًا : بعض النصوص الحديثية فى فضل النفقة على الدابة فى سبيل الله :

عن سهل ابن الحنظلية قال : قال رسول الله ﷺ : « الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، وأهلها معانون عليها ، ومَنْ ربط فرسا فى سبيل الله ، كانت النفقة عليه كالمادِّ يده بالصدقة لا يقبضها » (٢) .

وعن أبى هريرة ﷺ ؛ أنه سمع النبى ﷺ يقول : « من احتبس فرسا فى سبيل الله إيمانا بالله ، وتصديقًا بوعده ، فإن شِبَعه وريَّه ، وروثه ، وبوله فى ميزانه يوم القيامة » (٣) . إلى غير ذلك من النصوص .

ثالثًا : بعض النصوص الحديثية فى فضل النفقة على الأصحاب فى سبيل الله :

عن أبى سعيد ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « أيُّما مسلم كسا مسلما ثوبا على عُرْى كساه الله من خضر الجنة ، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيُّما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم » (٤) .

وعن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ﷺ : أنه دخل عليه قوم يعودونه فى مرض له ، فقال : يا جارية ، هلمِّى لأصحابنا ولو كسرًا ، فإنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مكارم الأخلاق من أعمال الجنة » (٥) .

---

(١) أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الزكاة : باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم ٢ / ٦٩٢ رقم (٩٩٦) بلفظ : « كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته » ، وأخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الزكاة : باب فى صلة الرحم ٢ / ١٣١ رقم (١٦٩٢) ، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ١٦٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) لم أعثر عليه بهذا اللفظ وهناك روايات أخرى .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الجهاد والسير : باب من احتبس فرسا فى سبيل الله . . . إلخ ٤/ ٣٤، والنسائى فى: السنن : كتاب الخيل : باب علف الخيل ٦/ ٢٢٥ ، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٣٧٤ .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن : كتاب الزكاة : باب فى فضل سقى الماء ٢/ ١٣٠ رقم (١٦٨٢)، والترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩ / ٢٧٦] ، والإمام أحمد فى : المسند ٣ / ١٣ ، ١٤ .

(٥) ورد فى : الفتح الكبير ٣ / ١٣٨ .

وعن حمزة بن صهيب ؛ أن صهيبا ﷺ كان يطعم الطعام الكثير ، فقال له عمر ﷺ : يا صهيب ، إنك تطعم الطعام الكثير ، وذلك سرف فى المال ، فقال صهيب : إن رسول الله ﷺ كان يقول : « خياركم من أطعم الطعام ، وردّ السلام » ، فذلك الذى يحملنى على أن أطعم الطعام [١] .

وعن علىّ ﷺ قال : لأن أجمع ناسًا من أصحابى على صاع من طعام ، أحب إلىّ من أن أخرج إلى السوق ، فأشترى نسمة فأعتقها [٢] . إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على فضيلة الإنفاق على الأصحاب فى سبيل الله .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ عناية الإسلام بأمر المال ، والتحذير من إنفاقه إلا فى النافع المفيد ؛ نظرًا لأن المال هو عصب الحياة ، وبه قوامها .

٢ ـ أن النفقة على العيال من : الأهل ، والولد ، والوالد ، والخادم ونحو ذلك من أفضل ما يقوم به المسلم ؛ لما فى ذلك من كفايتهم ، وصيانتهم عن الضياع ، بل عونهم على تحقيق معنى العبودية لله ـ عز وجل ـ فى الأرض ، وكفى بالمرء إثمًا أن يُضيِّع مَنْ يعول .

٣ ـ أن النفقة على الدابّة من الفرس وما فى معناها ـ لتصبح قادرة على مواصلة العمل فى سبيل الله ـ من أفضل وأجل ما يقوم به المسلم أيضًا .

٤ ـ أن النفقة على الأصحاب المستمسكين بمنهج الله ، من أشرف أنواع النفقات ؛ لما فى ذلك من تأليف القلوب والربط عليها ، بحيث يبقى الصفُّ المسلم قويا متينًا ، لا تؤثر فيه الرياح والأعاصير .

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى : المسند ٦ / ١٦ .

(٢) الأثر أخرجه البخارى فى : الأدب المفرد : باب من أطعم أخًا له فى الله ص ٢٤٦، ٢٤٧ رقم (٥٦٦) من حديث على موقوفًا بلفظ : « لأن أجمع نفرًا من إخوانى على صاع أو صاعين من طعام أحبُّ إلىَّ من أن أخرج إلى سوقكم فأعتق رقبة » .

الحديث الثانى عشر

قال رسول الله ﷺ :

« قال الله تعالى : حقَّت محبَّتى للمتحابين فىَّ ، وحقَّت محبَّتى للمتواصلين فىَّ ، وحقَّت محبَّتى للمتناصحين فىَّ ، وحقَّت محبَّتى للمتباذلين فىَّ ، المتحابُّون فىَّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون ، والصّديقون ، والشهداء » .

تخريجه :

الحديث أخرجه الإمام أحمد فى : المسند ٥ / ٢٢٩ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ .

ومالك فى : الموطأ : كتاب الجامع : باب ما جاء فى المتحابين فى الله ص ٦٨٠ رقم (١٧٣٥) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه بلفظ : « وَجَبَتْ محبَّتى للمتحابين فىَّ والمتجالسين فىَّ ، والمتزاورين فىَّ ، والمتباذلين فىَّ » .

وأورده الإمام النووى فى : رياض الصالحين : باب فضل الحبِّ فى الله ، والحثِّ عليه ص ١٨٤ ، ١٨٥ بلفظ الموطأ ، ثم عقب عليه بقوله : « حديث صحيح رواه مالك فى الموطأ بإسناده الصحيح » .

وأورده الألبانى فى : صحيح الجامع الصغير ٤ / ١١٦ رقم (٤١٩٧) من حديث عبادة بن الصامت به .

معناه :

علم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أزلا : أن منهجَه لن يُمكَّن له فى الأرض ، ولن تكون له الغلبة والسيادة ، إلا من خلال جَمْع يتمثَّله فى نفسه ، ثم يحمله إلى الآخرين من الناس ، كى يتمثلوه فى أنفسهم ، ثم يجاهد فى سبيله حماية له من كيد الكائدين ، وعبث العابثين ؛ لذلك شرع لعباده طائفة من الأحكام غايتها ومنتهاها : توحيد الكلمة وجمع الصف ، وتأليف القلوب .

والحديث الذى نحن بصدده الآن يتضمن بعض هذه الأحكام ، إنه :

ـ دعوة إلى التحابِّ فى الله .

ـ ودعوة إلى التواصل فى الله .

ـ ودعوة إلى التناصح فى الله .

ـ ودعوة إلى التباذل فى الله .

أجلْ ، إنه دعوة إلى هذه الخلال الأربعة ، مع بيان مكانة ومنزلة مَنْ يتحلى بها عند الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يوم القيامة ؛ ليسارع الناس ويتنافسوا عليها .

ودونك بعض النصوص الواردة فى فضل كل صفة من هذه الصفات :

أولا : بعض النصوص الواردة فى فضل التحابِّ فى الله :

عن أنس رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ثلاث مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسولُهُ أحبّ إليه مما سواهما ، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبه إلا فى الله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقْذَفَ فى النَّار » (١) .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « سبعة يظلّهم الله فى ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ـ عزَّ وجلَّ ، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وافترقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال، فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » (٢) .

---

(١) أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب حلاوة الإيمان ١ / ١٠ ، ١١ ، وكتاب الإكراه : باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ٩/ ٢٥ ، وأخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الإيمان: باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ١ / ٦٦ رقم (٤٣) .

والترمذى فى : السنن : كتاب الإيمان [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١٠ / ٩١] ، والنسائى فى : السنن : كتاب الإيمان : باب حلاوة الإيمان ٨ / ٩٦ .

وابن ماجه فى : السنن : كتاب الفتن : باب الصبر على البلاء ٢ / ١٣٣٨ رقم (٤٠٣٣) ، والإمام أحمد فى: المسند ٣ / ١٠٣ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ٢٣٠ ، ٢٤٨ ، ٢٧٥ ، ٢٨٨ بألفاظ مختلفة .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأذان : باب من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ١ / ١٦٨ ، وكتاب الزكاة : باب الصدقة باليمين ٢ / ١٣٨ ، وكتاب الحدود : باب فضل من ترك الفواحش ٨ / ٢٠٣ . =

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ؟ اليوم أظلّهم فى ظلّى ، يوم لا ظلّ إلا ظلى »(١) . إلى غير ذلك من النصوص .

ثانيًا : بعض النصوص الواردة فى فضل التواصل فى الله :

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ : « أن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى ، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لى فى هذه القرية، قال : هل لك عليه من نعمة تربّها ؟ قال: لا ، غير أنى أحببته فى الله ـ عز وجل ـ قال: فإنى رسول الله إليك: بأن الله قد أحبّك كما أحببته فيه»(٢) .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من عاد مريضا ، أو زار أخا له فى الله ، ناداه مناد : بأن طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلا »(٣) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال أبو بكر لعمر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ : انطلق بنا إلى أم أيمن رضي الله عنها نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها ، فلما انتهيا إليها بكت ، فقالا لها: ما يبكيك، أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ ؟ فقالت : إنى لا أبكى أنى لا أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ ، ولكن أبكى أن الوحى قد انقطع من السماء، فهيّجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها(٤) . إلى غير ذلك من النصوص.

= وأخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الزكاة : باب فضل إخفاء الصدقة ٢ / ٧١٥ رقم (١٠٣١)، والترمذى فى : السنن: كتاب الزهد [صحيح الترمذى بشرح الإمام ابن العربى المالكى ٩/ ٢٣٦] .
والنسائى فى : السنن : كتاب آداب القضاة : باب الإمام العادل ٨ / ٢٢٢ ، ومالك فى : الموطأ ص ٥٩١ ، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٤٣٩ .

(١) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب فى فضل الحب فى الله ٤ / ١٩٨٨ رقم (٢٥٦٦) ، والدارمى فى : السنن : كتاب الرقاق : باب فى المتحابين فى الله ٢ / ٣١٢ ، ومالك فى الموطأ ص ٥٩٠ ، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٢٣٧، ٢٣٨ ، ٣٧٠ ، ٥٢٣ ، ٥٣٥ .

(٢) أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب فى فضل الحب فى الله ٤ / ١٩٨٨ رقم (٢٥٦٧)، والإمام أحمد فى : المسند ٢/ ٢٩٢، ٤٠٨ ، ٤٦٢ ، ٤٨٢ ، ٥٠٨ بألفاظ مختلفة.

(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب البر والصلة [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٨/ ١٧٠] ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الجنائز : باب ما جاء فى ثواب من عاد مريضا ١/ ٤٦٤ رقم (١٤٤٣)، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٣٢٦ ، ٣٤٤ ، ٣٥٤ بألفاظ مختلفة .

(٤) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أم أيمن رضي الله عنها ٤/ ١٩٠٧، ١٩٠٨ رقم (٢٤٥٤)، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الجنائز : باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ ١ / ٥٢٣ ، ٥٢٤ رقم (١٦٣٥) .

ثالثًا : بعض النصوص الواردة فى فضل التناصح فى الله :

عن أبى رقيّة تميم بن أوس الدارى رضي الله عنه ؛ أن النبى ﷺ قال : « الدين النصيحة » قلنا : لمن ؟ قال : « لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم » (١) .

وعن علقمة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « ما بال أقوام لا يفقّهُون جيرانهم ، ولا يعلّمونهم ، ولا يعظونهم ، ولا يأمرونهم ، ولا ينهونهم ، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ، ولا يتفقهون ، ولا يتّعظون ، والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ، ويعظونهم ، ويأمرونهم ، وينهونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ، ويتفقهون ، ويتعظون أو لأعاجلنّهم العقوبة » . ثم نزل فقال قوم : مَنْ ترونه عنى بهـؤلاء ؟ قال : « الأشعريين هم قوم فقهاء ، ولهم جيران جفاة من أهل المياه ؛ والأعراب » ، فبلغ ذلك الأشعريين ، فأتوا رسول الله ﷺ ، وقالوا : يا رسول الله ، ذكرت قوما بخير ، وذكرتنا بشرٍّ ، فما بالنا ؟ فقال : « ليعلّمن قوم جيرانهم ، وليعظنهم ، وليأمُرُنّهم ، ولينهونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتعظون ويتفقهون ، أو لأعاجلنهم العقوبة فى الدنيا » ، فقالوا : يا رسول الله ، أنعظنّ غيرنا ؟ فأعاد قوله عليهم ، فأعادوا قولهم : أنعظنّ غيرنا ؟ فقال : « ذلك أيضا »، فقالوا : أمهلنا سنة ، فأمهلهم سنة يفقهونهم، ويعلمونهم ، ويعظونهم ، ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ** ﴾ [المائدة] (٢) .

رابعًا : بعض النصوص الواردة فى فضل التباذل فى الله :

سبق ذكر هذه النصوص فى الحديث السابق عند الكلام على « فضل النفقة على الأصحاب فى سبيل الله » ، ولا بأس بإعادة ذكرها مرة أخرى :

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب بيان أن الدين النصيحة ١/ ٧٤ رقم (٥٥)، وأبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب فى النصيحة ٤ / ٢٨٦ رقم (٤٩٤٤) ، والترمذى فى : السنن: كتاب البر والصلة [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٨/ ١١٤] من حديث أبى هريرة، والنسائى فى : السنن : كتاب البيعة : باب النصيحة للإمام ٧ / ١٥٦، ١٥٧ ، والدارمى فى : السنن : كتاب الرقاق : باب الدين النصيحة ٢ / ٣١١ ، والإمام أحمد فى : المسند ١ / ٣٥١ ، ٢ / ٢٩٧ ، ٤/ ١٠٢ ، ١٠٣ بألفاظ وطرق مختلفة .

(٢) الحديث أورده الهيثمى فى : مجمع الزوائد : كتاب العلم : باب فى تعليم من لا يعلم ١ / ١٦٤ وعزاه إلى الطبرانى قائلا : « رواه الطبرانى فى الكبير وفيه : بكير بن معروف . قال البخارى : ارم به ، ووثقه أحمد فى رواية ، وضعفه فى أخرى . وقال ابن عدى : أرجو أنه لا بأس به » .

عن أبى سعيد ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عُرْى ؛ كساه الله من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع ؛ أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ؛ سقاه الله من الرحيق المختوم » (١) .

وعن حميد الطويل، عن أنس بن مالك ﷺ : أنه دخل عليه قوم يعودونه فى مرض له، فقال : يا جارية، هلمِّى لأصحابنا ولو كسرًا، فإنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مكارم الأخلاق من أعمال الجنة » (٢) .

وعن حمزة بن صهيب : أنَّ صهيبا ﷺ كان يطعم الطعام الكثير ، فقال له عمر ﷺ : يا صهيب ، إنك تطعم الطعام الكثير ، وذلك سرف فى المال ، فقال صهيب : إن رسول الله ﷺ كان يقول : « خياركم من أطعم الطعام ، ورد السلام » ، فذلك الذى يحملنى على أن أطعم الطعام (٣) .

وعن علىٍّ ﷺ قال : لأن أجمع ناسًا من أصحابى على صاع من طعام ، أحبُّ إلىَّ من أن أخرج إلى السوق ، فأشترى نسمةً فأعتقها (٤) . إلى غير ذلك من النصوص الدالة على فضيلة التباذل فى الله .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ ضرورة التحابِّ فى الله ، والتواصل فى الله ، والتناصح فى الله ، والتباذل فى الله ؛ لما فى ذلك من جَمْع الصفِّ ، وتوحيد الكلمة ، وتأليف القلوب ، وليس شىء أنفع للأمة وأعون لها على أمرها من ذلك .

ويعين على التحلى بكل خلق من هذه الأخلاق الأربعة :

* أن يتذكر المسلم أن كلا منها يوجب محبة الله ـ عز وجل ـ ورضاه .

* وأن يتذكر أن كلا منها يؤدى إلى توحيد الصف ، وجمع الشمل ، وتأليف القلب ، فيصبح المسلمون قذىً فى عيون أعدائهم ، ويعود ما كان لهم قديما من هيبة ومكانة ومنزلة .

---

(١) سبق تخريجه ص ٦٣ .

(٢ ـ ٤) سبق تخريجها ص ٦٤ .

* وأن يقف على سيرة السلف الصالح، وكيف كان هديهم، ونهجهم فى ذلك، فيتولد عن ذلك حبّ التَّأسى والاقتداء .

٢ ـ حرصه ﷺ على أن يحيا المسلم داخل الجماعة فيبقى نافعًا مؤثرًا ؛ إذ الواحد مهما كان صلاحه وتقواه ، ومهما كانت طاقته وقوته ، ومهما كانت فطنته وذكاؤه ، فإن تأثيره لن يتجاوز موضع قدميه ، ولنعتبر باليد حين تكون وحدها ، إنها حينئذ لن تستطيع دفع الأوساخ والأقذار عنها .

ورضى الله عن علىٍّ إذ يقول : كدر الجماعة خير من صفو الفرد [١] .

وجزى الله عبد الله بن المبارك خيرا إذ أنشد :

لولا الجماعة ما كانت لنا سبل ولكان أضعفنا نهبا لأقوانا

(١) لم أعثر عليه .

obeikandl.com

الحديث الثالث عشر

قال رسول الله ﷺ :

« ما منْ ذنب أجدرَ أن يُعجِّل اللهُ تعالى لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدَّخرهُ له فى الآخرة من قطيعة الرحم ، والخيانة ، والكذب ، وإنَّ أَعْجَل الطاعة ثوابًا لَصلَةُ الرحم ، حتى إنَّ أَهل البيت ليكونَوا فجرةً ، فتنمو أموالُهُم ويكثُر عدَدُهُم إذَا تواصلُوا » .

تخريجه :

الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب الأدب: باب النهى عن البغى ٤/٢٧٦ رقم (٤٩٠٢) من حديث أبى بكرة ﷺ بلفظ : قال رسول الله ﷺ : « ما من ذنب أجدرَ أن يُعجِّل الله تعالى لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة مثل البغى ، وقطيعة الرحم » .

والبخارى فى : الأدب المفرد : باب عقوبة قاطع الرحم فى الدنيا ص ٣٤ ، ٣٥ من حديث أبى بكرة بلفظ أبى داود مع اختلاف يسير .

وأورده الألبانى فى : صحيح الجامع الصغير ٥ / ١٦٣ رقم (٥٥٨١) من حديث أبى بكرة به .

معناه :

يؤكد الواقع الذى نعيشه نحن البشر : أن الإنسان لا يمكن أن ينصرف لأداء واجباته بدقة وإتقان ما لم يكن آمنا فى نفسه ، وماله ، وعرضه .

كما يؤكد هذا الواقع: أن الغايات النبيلة، والأهداف السامية لا يمكن أن تُنَال بجهد فردى، بل لابدَّ لها من جهد جماعى، تتحد فيه القلوب، وتتشابك فيه الأيدى .

وقد وضع الإسلام طائفة من المبادئ والتشريعات تكشف عن نظرته لهاتين الحقيقتين وتُقرِّرُ تصديقه لهما ، وكان من بين هذه المبادئ وتلك التشريعات : صلة الرحم ، والأمانة ، والصدق .

إذ إن صلة الرحم تؤدى إلى تماسك وترابط العشيرة أو القبيلة التى هى أساس رئيسى من أسس تماسك الجماعة وتكاتفها .

أما الصدق والأمانة ، فإنهما يؤديان إلى أمن الإنسان فى نفسه ، وماله، وعرضه الذى هو الأساس فى انصرافه لأداء واجباته بدقة وإتقان .

والحديث الذى نحن بصدد شرحه وبيانه الآن : تصوير دقيق لعاقبة التفريط فى كلٍّ من هذه الخصال ، وهو أيضًا تصوير دقيق لعاقبة صلة الرحم فى الدنيا .

إنه يُبَيِّنُ أن إثم قطيعة الرحم ، والخيانة ، والكذب أحرى أن يعجِّل الله تعالى لصاحبه العقوبة فى الدنيا ، فضلا عما ينتظره من العذاب فى الآخرة .

وهو يبين أيضا : أنّ أعجل الطاعة ثوابا فى الدنيا صلة الرحم ، حتى أن أهل البيت ليكونوا فجرة ، فتنمو أموالهم ، ويكثر عددهم إذا تواصلوا .

ويقتضينا المقام هنا أن نتحدث عن :

- معنى الرحم ، والمراد بها فى الحديث ، وبم تكون صلتها ؟
- بعض النصوص الواردة فى إثم قطيعة الرحم .
- بعض النصوص الواردة فى إثم الخيانة .
- بعض النصوص الواردة فى إثم الكذب .

وذلك على النحو التالى :

أولا : معنى الرحم ، والمراد بها فى الحديث ، وبم تكون صلتها ؟ :

الرحم فى الأصل هى : بيت منبت الولد ، ووعاؤه فى البطن ، قال الله تعالى : ﴿ **اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ** ﴾ [الرعد : ٨] ، ﴿ **وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾ [الحج : ٥] ، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ** ﴾ [لقمان : ٣٤] . ثم صارت تطلق على أحد معنيين :

- الأقارب مطلقا ، وهُمْ كلُّ مَنْ يجمع بينك وبينه نسب .
- الأقارب المحارم ، وَهُمْ كُلُّ مَنْ تحرم المناكحة بينهما .

والمعنى الأول هو الراجح ، وهو المراد فى الحديث :

١ ـ لاتفاقه مع منهج الإسلام فى تأليف القلوب والربط بينها ، بحيث يحيا المسلمون وكأنهم جسد واحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمَّى .

٢ ـ ولقوله ﷺ فى أهل مصر : « فإن لهم ذمة ورحمًا » (١) ، ولقوله : « وإن أبرّ البرّ أن يصل الرجل أهل وُدِّ أبيه » (٢) .

هذا وصلة الرحم تكون بتقديم ما يُعَدُّ به الإنسان مواصلا غير منافر ، ولا مقاطع ، فمثلا : إن كان عندهم وصلهم بهديه ونحوها ، فإن لم يقدر على الصلة بالمال ،أو لم يكونوا محتاجين وصلهم بزيارة ، وإعانة فى أعمالهم إن كانوا محتاجين ، وإن كان غائبا عنهم وصلهم بالكتاب ، وإرسال السلام ، ولين الكلام ، ونحو ذلك ، فإن قدر على المشى إليهم فهو أفضل . وهذا عام فى كل قريب .

أما الوالد ، فله حقوق أخرى زائدة :

أحدها : إذا احتاج إلى الطعام أطعمه .

الثانى : إذا احتاج إلى الكسوة كساه .

الثالث : إذا احتاج إلى الخدمة خدمه .

الرابع : إذا دعاه أجابه وحضره .

الخامس : إذا أمره بغير معصية أطاعه .

السادس : أن يتكلم معه باللين وخفض الصوت .

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب فضائل الصحابة : باب وصية النبى ﷺ بأهل مصر ٤ / ١٩٧٠ رقم (٢٥٤٣) من حديث أبى ذر ، والإمام أحمد فى : المسند ٥ / ١٧٤ .

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما ٤ / ١٩٧٩ رقم (٢٥٥٢) من حديث عبد الله بن عمر ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب فى بر الوالدين ٤ / ٣٣٧ رقم (٥١٤٣) ، والترمذى فى : السنن : كتاب البر والصلة [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٨ / ٩٨] ، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٨٨ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١١١ بألفاظ مختلفة .

السابع : ألا يدعوه باسمه فيقول : يا فلان ، بل يقول : يا أبت أو يا والدى .

الثامن : ألا يسبَّه ، أو يكون سببا فى سبِّه .

التاسع : ألا يمشى أمامه ، ولا يجلس قبله .

العاشر : أن يرضى له ما يرضى لنفسه ، ويكره له ما يكره لها .

حادى عشر : أن يدعو له بالمغفرة والرحمة ، كما يدعو لنفسه .

ثانى عشر : إكرام صديقه ، وصلة الرحم التى لا توصل إلا به .

ثانيًا : بعض النصوص الواردة فى إثم قطيعة الرحم :

وقد وردت نصوص شرعية فى إثم قطيعة الرحم ، منها :

قول الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥)** ﴾ [الرعد] .

وقوله ﷺ : « لا يدخل الجنَّة قاطع »(١) يعنى : قاطع رحم .

وقوله ﷺ : « الرَّحم معلقة بالعرش تقول : مَنْ وصلنى وصله الله ، ومَنْ قطعنى قطعه الله »(٢) .

وقوله ﷺ : « إنَّ الله تعالى خَلَقَ الخلْق ، حتى إذا فرغ منهم قامت الرَّحم ، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما تَرْضَيْن أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى ، قال : فذلك لَك ، ثم قال رسول الله ﷺ : اقرءوا إن شئتم : ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢)**

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الأدب: باب إثم القاطع ٨/٦، ومسلم فى: الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب :باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ٤ / ١٩٨١ رقم (٢٥٥٦) ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الزكاة : باب فى صلة الرحم ٢ / ١٣٣ رقم (١٦٩٦) ، والترمذى فى: السنن : كتاب البر والصلة [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٨/١٠١] ، والإمام أحمد فى: المسند ٤/ ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٤ .

(٢) أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ٤/١٩٨١ رقم (٢٥٥٥) من حديث عائشة .

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ » [محمد] [١] . إلى غير ذلك من النصوص .

ثالثًا : بعض النصوص الواردة فى إثم الخيانة :

كما وردت نصوص أخرى فى إثم الخيانة، منها :

قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الانفال] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحج]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [النساء].

وقوله ﷺ: « آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » [٢] . إلى غير ذلك من النصوص .

رابعًا : بعض النصوص الواردة فى إثم الكذب :

وأيضا وردت نصوص فى إثم الكذب ، منها :

قوله ﷺ: « إن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنَّة ، وإن الرجل لَيصدُق حتى يكتب عند الله صدِّيقا ، وإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب ، حتى يكتب عند الله كذَّابا » [٣] .

---

(١) أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأدب : باب من وصل وصله الله ٨ / ٦ ، وبنحوه فى التفسير، تفسير سورة محمد: باب وتقطعوا أرحامكم ٦/ ١٦٧، وفى التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ ﴾ ٩/ ١٧٧، ومسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب: باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ٤/ ١٩٨٠، ١٩٨١ رقم (٢٥٥٤)، والإمام أحمد فى : المسند ٢/ ٢٣٠ .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب علامة المنافق ١/ ١٥، وفى الشهادات : باب من أمر بإنجاز الوعد ٣ / ٢٣٦ ، وفى الوصايا : باب قول الله تعالى : ﴿ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ ٤ / ٦ ، وفى الأدب : باب قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ وما ينهى عن الكذب ٨ / ٣٠ من حديث أبى هريرة ، وأخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب بيان خصال المنافق ١/ ٧٨ رقم (٥٩)، والترمذى فى: السنن: كتاب الإيمان [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١٠/ ٩٧] ، والنسائى فى : السنن : كتاب الإيمان : باب علامة المنافق ٨/ ١١٧، والإمام أحمد فى: المسند ٢ / ٣٥٧ .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الأدب: باب قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ وما ينهى عن الكذب ٨/ ٣٠ من حديث عبد الله بن مسعود، ومسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ٤/ ٢٠١٣ رقم (٢٦٠٧)، وأبو داود فى: السنن : كتاب الأدب : باب فى التشديد فى الكذب ٤/ ٢٩٧ رقم (٤٩٨٩)، والترمذى فى : السنن : كتاب البر والصلة [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٨/ ١٤٧] ، ومالك فى : الموطأ ص ٦١٢ ، والإمام أحمد فى : المسند ١ / ٣٨٤ ، ٤٣٢ .

وقوله ﷺ: « أربع مَنْ كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومَنْ كانت فيه خَصْلة منهنَّ ، كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان ، وإذا حدَّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » (١) . إلى غير ذلك من النصوص .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ ضرورة الابتعاد عن المعاصى بعامة ، وعن قطيعة الرحم ، وعن الخيانة ، وعن الكذب بخاصة ؛ لما يترتب عليها من فساد العيش ، ومن الضيق والاضطراب والقلق النفسى ، فضلا عن العذاب الأخروى. وصدَقَ الله الذى يقول : ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)** ﴾ [النحل] .

٢ ـ وأن صلة الرحم تكون سببا فى نماء المال وكثرة الولد ، حتى ولو كان هناك فجور أو إثم، بل إن لها فوائد أخرى لم تذكر فى هذا الحديث، وإنما جاءت فى غيره، كالبركة فى الأجل ، وحسن الثناء من المسلمين .

٣ ـ عظمة الإسلام حيث تضمن من المبادئ والآداب ما يؤمن الإنسان على نفسه ، وماله ، وعرضه ، وما يساعد على ترابط الجماعة وتماسكها .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب علامة المنافق ١ / ١٥ ، وفى المظالم : باب إذا خاصم فجر ٣/ ١٧٢ وفى الجزية : باب إثم من عاهد ثم غدر ٤/ ١٢٤، من حديث عبد الله بن عمرو، وأخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب بيان خصال المنافق ١ / ٧٨ رقم (٥٨) ، وأبو داود فى : السنن : كتاب السنة : باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ٤/ ٢٢١ رقم (٤٦٨٨)، والترمذى فى: السنن: كتاب الإيمان [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١٠/ ٩٩] ، والنسائى فى : السنن : كتاب الإيمان : باب علامة المنافق ٨ / ١١٦ ، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ١٨٩ ، ١٩٨ .

الحديث الرابع عشر

قال رسول الله ﷺ :

« لــو أن قطرة من الزَّقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايِشَهُم ، فكيف بمن تكون طعامه ؟ » .

تخريجه :

الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب صفة جهنم : باب ما جاء فى صفة أهل النار ٤ / ٦٠٩ رقم (٢٥٨٥) من حديث ابن عباس بلفظ : أن النبى ﷺ قرأ هذه الآيـة : ﴿ **اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)** ﴾ [آل عمران] . فقال رسول الله ﷺ : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيـا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم ،فكيف بمن تكون طعامه ؟ » . وعقّب عليه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح » .

وأخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتـاب الزهد : باب صفة النار ٢ / ١٤٤٦ رقم (٤٣٢٥) ، والإمام أحمد فى : المسند ١ / ٣٠١ ، ٣٣٨ .

وأورده الألبانى فى : صحيح الجامع الصغير ٥ / ٥٩ رقم (٥١٢٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما به .

معناه :

يختلف الباعث الذى يحمل على فعل الخير والتحلى بالفضيلة من شخص لآخر :

ـ فمن الناس من يكون باعثه : حبّ مشرع الخير والفضيلة .

ـ ومن الناس من يكون باعثه : الرغبة فى الثواب والمكافأة .

ـ ومن الناس من يكون باعثه : الخوف من العقاب والألم . . . وهلمّ جرّا .

obeikandl.com

وكلما قوى الباعث، كلما كان الإقبال على فعل الخيرات والتحلى بها وبالفضائل، والعكس بالعكس .

والحديث الذى نحن بصدد شرحه الآن: تحريض من طرف خفى لصنف من الناس ـ وهم الذين لا يفعلون الخير إلا خوفا من العقاب والألم. تحريض لهم: أن يُقبلوا على فعل الخيرات، وأن يتطهروا من الموبقات، قبل أن يكون طعامهم الزَّقوم يوم القيامة .

وسبيل هذا التحريض: بيان صفة الزَّقوم ،وأنه لو ألقيت منه قطرة فى دار الدنيا ، لأتت على الأخضر واليابس ، ولأفسدت على أهل الأرض معايشهم .

ودونك :

أولا : بعض النصوص الأخرى فى صفة الزَّقوم :

يقول الله تعالى: ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) ﴾ [الصافات]، ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) ﴾ [الدخان] ، ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لآكِلُونَ من شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦) ﴾ [الواقعة] .

ثانيًا : تفسير الزَّقوم :

وقد فسر السلف الزّقوم ـ فى ضوء الآيات المتقدمة ـ بأنه شجرة نابتة فى أصل سقر ، أو فى قعر جهنم ، وأغصانها تمتد أو ترتفع إلى دركاتها ، وأن جهنم قد حميت عليها بحيث صارت تغلى كالمهل ، وأن أهل النار يتعاطونها حتى تمتلئ منها بطونهم ، كما يغلى الحميم ، وهو الماء الذى انتهى حره ، ثم بعد أكلهم منها يشربون عليه من الحميم شرب الهيم ، أى الإبل العطاش ، التى لا تروى أبدًا حتى تموت ، وكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبدًا .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ ضرورة الالتزام بمنهج الله ، بأن يفعل الإنسان الطاعات ، ويقلع عن المعاصى والسيئات، قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال، وقبل أن يصير الزقوم طعاما مستمرا، والحميم شرابا دائما .

٢ ـ فظاعة العذاب فى النار، وأن بها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ، وحسبها صفة الزقوم الواردة فى الحديث .

٣ ـ سلوة أهل الحق ، بأنه مهما تفنن أهل الباطل فى إيذائهم وتعذيبهم واضطهادهم ، فإنهم لن ينالوا منهم ، ولن يؤلموهم بالكيفية التى ستقع لهؤلاء المجرمين فى النار يوم القيامة .

٤ ـ عدم إغفال جانب العقاب فى التربية ؛ إذ فى الناس من لا يفعل الخير ولا يتحلى بالفضيلة ابتداء ، إلا إذا أرهب أو خوف .

openkandl.com

obeikandl.com

الحديث الخامس عشر

قال رسول الله ﷺ:

« مَنْ لَزِمَ الاستغفارَ ؛ جعلَ اللهُ لهُ مِنْ كلِّ هَمٍّ فَرَجًا ، ومِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخرجًا ، ورزقه من حيثُ لا يحتسِب » .

تخريجه :

الحديث أخرجه ابن ماجه فى: السنن: كتاب الأدب: باب الاستغفار ٢ / ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ رقم (٣٨١٩) بهذا اللفظ .

وأخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الصلاة : باب فى الاستغفار ٢ / ٨٥ رقم (١٥١٨) من حديث عبد الله بن عباس به ، مع تقديم : « ومن كل ضيق مخرجا » على: «ومن كل هم فرجا»، وفى سنده « الحكم بن مصعب » قال أبو حاتم: مجهول. وذكره ابن حبان فى الضعفاء ، وقال الأزدى : لا يتابع على حديثه .

ورواه الإمام أحمد فى: المسند ١/٢٤٨ بلفظ: « من أكثر من الاستغفار . . . » .

وأورده الإمام النووى فى : رياض الصالحين : كتاب الاستغفار ص ٧١٤ من حديث ابن عباس وعزاه إلى أبى داود .

وأورده المنذرى فى : الترغيب والترهيب ٢ / ٤٦٨ رقم (٥) من حديث عبد الله ابن عباس به .

معناه :

خلق الله الإنسان فى الأرض ، وأناط به عدة تكاليف، وأرشده إلى أنه لن يستطيع النهوض بهذه التكاليف ما لم يتزود بزاد التقوى ؛ لذلك كانت الشعائر التعبدية : من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وقراءة للقرآن، وذكر، ودعاء، واستغفار ونحوها .

obeikandl.com

وكان الحديث الذى نحن بصدده الآن ، دعوة إلى لزوم الاستغفار ، لما يترتب عليه من تطهير حياة المسلم ، وتنقيتها من المعاصى والسيئات أولا بأول ، فضلا عن أنه يكون سببا فى : تفريج الهم والكرب ، وإيجاد مخرج من كل ضائقة ، وفتح لأبواب رزق لم تكن تخطر بالبال .

وإليك : بعض النصوص الأخرى فى فضل الاستغفار :

يقول الله تعالى حكاية عن هود عليه السلام مع قومه :

﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُم ﴾ [هود : ٥٢] .

ويقول ـ سبحانه ـ حكاية عن نوح عليه السلام مع قومه :

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) ﴾ [نوح] .

ويقول تعالى : ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَه ﴾ [هود: ٣]، ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥)﴾

[آل عمران]

ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: « والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة » [(١)] .

ويقول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : كنا نعد لرسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى المجلس الواحد مائة مرة : «رب اغفر لى وتب على، إنك أنت التواب الرحيم» [(٢)] .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الدعوات : باب استغفار النبى صلى الله عليه وسلم فى اليوم والليلة ٨/ ٨٣ من حديث أبى هريرة ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الأدب : باب الاستغفار ٢/ ١٢٥٤ رقم (٣٨١٦) بلفظ : « . . . فى اليوم سبعين مرة » ، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٢٨٢ ، ٣٤١ .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الصلاة : باب فى الاستغفار ٢ / ٨٥ رقم (١٥١٦) ، والترمذى فى : السنن : كتاب الدعوات [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١٢ / ٣١٥] ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الأدب : باب الاستغفار ٢ / ١٢٥٣ رقم (٣٨١٤) ، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٨٤ بلفظ متقارب .

ويقول الرسول ﷺ : « من قال : أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ، غفرت له ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف » [١] .

وكان ﷺ يكثر أن يقول قبل موته : « سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله وأتوب إليه » [٢] . إلى غير ذلك من النصوص .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ المحافظة على الاستغفار كما يحافظ الإنسان على الضروريات التى لا تقوم الحياة بدونها ، ويساعد على ذلك :

* أن يتذكر المسلم دور الاستغفار فى تهذيب النفس وتطهيرها وتزكيتها .

* وأن يدرك أنه يكون سببا فى تفريج أى هم أو كرب .

* وأن يعلم أنه يكون سببا فى الخروج من كل ضائقة أو شدة .

* وأن يعلم أنه يكون سببا فى سعة الرزق ، وكثرة المال والولد ، بل وفى فتح أبواب للرزق لا تخطر بالبال .

* وأن يعلم أنه يكون سببا فى بركة العمر أو الأجل .

٢ ـ واقعية هذا الدين : إذ ينظر إلى الإنسان لا على أنه ملك ، بل على أنه بشر يخطئ ويصيب، ودواء هذا الخطأ إنما يكون بالتوبة والاستغفار،وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : « والذى نفسى بيده ، لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم ، وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى ، فيغفر لهم » [٣] .

٣ ـ اهتمام الإسلام بالجانب الروحى فى الإنسان بتشريع ما يغذيه ويقويه ، عكس المذاهب البشرية القائمة الآن ، التى أغفلت الروح من حسابها ، فصارت الحياة أشبه بغابة ممتلئة بالوحوش والحيوانات المفترسة ، والسيادة أو الغلبة فيها للأقوى .

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الصلاة : باب فى الاستغفار ٢ / ٨٥ رقم (١٥١٧) ، والترمذى فى : السنن : كتاب الدعوات [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١٣ / ٨٠] .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الصلاة : باب ما يقال فى الركوع والسجود ١ / ٣٥١ رقم (٤٨٤) .

(٣) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب التوبة : باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة ٤ / ٢١٠٦ رقم (٢٧٤٩) من حديث أبى هريرة ، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٣٠٩ .